﴿أَفَعَيِينَا بِٱلۡخَلۡقِ ٱلۡأَوَّلِۚ بَلۡ هُمۡ فِي لَبۡسٖ مِّنۡ خَلۡقٖ جَدِيدٖ ١٥﴾

[ق: 15]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قبلَها:

الانتقال من الوعيد بذِكر مَصيرِ المكذِّبين إلى تقرير البعث وتأكيده

بعد أن ذكرتِ الآياتُ السابقةُ أدلَّةَ البعث للمكذِّبين في زمنِ التَّنزيل، ثمَّ استحقاقَ المُكَذِّبين العذابَ؛ بسبب كفرهم وعنادِهم؛ ناسب أن يعود السياقُ إلى تقرير حقيقة البعث التي كفر بها الجاهلون، وأنكرها الجاحدون[1]؛ ليكون بعد سَوقِ مآل المكذِّبين من السّابقين؛ تقويةً للتَّحذير والتَّهديد والوعيدِ الأكيد.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿أَفَعَيِينَا﴾: (عيي) أصلٌ يدلُّ على ضعفٍ يَلحَقُ الشيءَ رغمَ تماسُكه في الظّاهر[2]، ومنه الإعْياءُ، وهو عَجْزٌ يلحقُ البدنَ من المشي، والعيُّ عَجْزٌ يلحق مَنْ تولَّى الأمرَ والكلامَ، قال تعالى: ﴿أَفَعَيِينَا بِٱلۡخَلۡقِ ٱلۡأَوَّلِۚ﴾، وقال: ﴿وَلَمۡ يَعۡيَ بِخَلۡقِهِنَّ﴾ [الأحقاف: 33][3].

2) ﴿بِٱلۡخَلۡقِ﴾: (خلق) أصلٌ يدلُّ على تقدير الشَّيء[4]، فالخَلْقُ أصله: التقدير المستقيم، ويُستعمَل في إبداع الشَّيء من غير أصل ولا احتذاء، قال تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ﴾ [الأنعام: 1]، أي: أبدعهما، بدلالة قوله: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ﴾ [البقرة: 117]، ويُستعمَل أيضًا في إيجاد الشيء من الشيء نحو: ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ﴾ [النساء: 1][5]، والمراد بالخلق الأوَّل هنا: إنشاءُ الإنْسانِ مِنْ نُطْفَةٍ عَلَى

(1) طنطاوي، التفسير الوسيط: 13/ 339.
(2) جبل، المعجم الاشتقاقي: (عيي).
(3) الراغب، مفردات القرآن: (عيي).
(4) ابن فارس، مقاييس اللغة: (خلق).
(5) الراغب، مفردات القرآن: (خلق).

التَّدْريجِ[1]، وبالخلق الجديد: البعث والإحياء بعد الموت، الذي نزلت السورة للرَّدِّ على مُنكِريه.

3) ﴿لَبۡسٖ﴾: (لبس) أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى مُخالَطَةٍ ومُداخَلَةٍ، مِنْ ذَلِكَ لَبِسْتُ الثَّوْبَ أَلْبَسُهُ، واللَّبْسُ: اخْتِلاطُ الأمرِ، يُقالُ: لَبَسْتُ عَلَيْهِ الأمرَ أُلْبِسُهُ بِكَسْرِها، قالَ اللهُ تَعالَى: ﴿وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ۝٩﴾ [الأنعام: 9][2]، ومعناه هنا: حَيرَة وشك وخَلط لا داعيَ له؛ لأنَّ الإعادة أهوَنُ من الابتداء بداهةً[3].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

مَـنْ قَـدَرَ على الـخَـلْـقِ الأوَّلِ قادرٌ على الإحياءِ والبعثِ بداهَةً

تُبيِّن الآيةُ الكريمةُ أنَّ مَنْ قَدَرَ على خلق النّاس من عدمٍ؛ قادرٌ على بعثِهم وإعادتِهم للحياة بعد موتهم وصيرورتهم ترابًا مختَلِطًا؛ لأنَّ الإعادة أسهلُ من الابتداء، كما تبيِّن أنَّ هؤلاء الكافرين صاروا في لَبسٍ وخَلطٍ من أمرهم؛ بسبب انطماس بصائرهم واستيلاء الشيطان عليهم، بدليل أنَّهم يُقِرّون بأنَّ اللهَ هو الذي خلقهم أوَّل مرَّة، ثمَّ ينكرون قدرتَه على إعادتهم للحياة من جديد[4].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

مَوقِعُ الجُملَةِ مِنَ السّابق:

تـقـريـر حقيقة الـبـعـث الـذي كذَّبت به القرونُ السّابقُ ذكرُها

جملة: ﴿أَفَعَيِينَا بِٱلۡخَلۡقِ ٱلۡأَوَّلِۚ﴾ يمكن أن تكون مستأنفةً لتقرير صحَّةِ البعثِ الذي حُكيَت أحوالُ المنكرينَ له من الأمم المُهْلَكة[5]، الفاءُ للعطف على مُقَدَّر يُنبئ عنه السياق من القصد والمباشرة، كأنَّه قيل: (أقَصَدْنا الخلقَ الأوَّلَ، فَعَجَزْنا عنه، حتى يُتَوَهَّمَ عجزُنا

(1) أبو حيان، البحر المحيط: 9/ 532.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (لبس).
(3) البقاعي، نظم الدرر: 18/ 419، والهلال، تفسير القرآن الثري الجامع: 16/ 140.
(4) طنطاوي، التفسير الوسيط: 13/ 339.
(5) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 8/ 128.

عن الإعادة؟)[1]، وأوثر حذفُ المعطوف عليه قبل الفاء؛ لكونه مفهومًا معلومًا، ولأنَّ الاهتمامَ موجَّهٌ إلى إنكار عجز الله تعالى عن خلق الناس من عدمٍ ونفيه بالكلّيَّة؛ ليدلفَ البيانُ منه إلى إثبات قدرته سبحانه على البعث الذي يُعَدُّ أيسرَ منه وأسهل.

ويمكن أن تكون الجملةُ مُفَرَّعةً عَلَى قول الله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ﴾، وقَوْله: ﴿تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾ المُعَرِّض بِأنَّهُم لَم يَتَبَصَّروا به، ولَم يَتَذَكَّروا، وقَوْله: ﴿وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ﴾، ويَجوزُ أنْ يُجْعَلَ تَفْريعًا عَلَى قَوْله: ﴿كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ﴾[2]؛ لتأكيد قدرة الله تعالى عليه من خِلالِ الاستدلال بقُدرته على خَلقِ النّاس وإيجادِهم أوَّلَ مَرَّةٍ مِنَ العَدَم.

غَرَضُ الاستفهام وبلاغتُهُ:

مَن غَفَلَ عن الحقِّ استحقَّ التَّوبيخَ بالحقِّ

الهمزة في قول الله تعالى: ﴿أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ﴾؛ للاستفهامِ الإنكاريِّ والتوبيخيِّ، والتغليظِ على المشركين؛ لأنَّهم تغافلوا إلى ما في الخلق الأوَّل بصفة عامَّة، وما في إيجادهم من عَدمٍ بصفة خاصَّة، من دلائلَ وبراهينَ على قدرة الله على إحياء الناس بعد موتهم، وإعادتهم للحياة من جديد؛ لأنَّ من يتفكَّر في ذلك لا يسعه إلّا الاعترافُ بأنَّ الله لم يعْيَ بالخلق الأول؛ إذْ لا يُنكِر عاقلٌ كمالَ قدرةِ الخالق وعدمَ عَجزه[3].

دلالة الإسناد إلى ضمير العظمة:

الخَلْقُ التّامُّ والصنعة الكاملة دليلٌ نفي النقائص عن صاحب الكمال المُطْلَق

جاء الفعل في قول الله تعالى: ﴿أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ﴾؛ مسندًا إلى ضمير العظمة؛ لتأكيد نفيه عن الله وتقويته؛ لأنَّ إسناده إلى الله ممّا ترفضه العقولُ القويمةُ والفطرُ السليمةُ، ولإقامةِ الحجَّة

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 8/ 128.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 297.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 297.

على مدَّعي العقولِ الكاملة في الوصول إلى الحقائق التامَّة، بأنَّ الخالق ﷻ هو القادر على البعثِ، كما قدر على الخلقِ سواء بسواء، كما هو مشاهَدٌ في مظاهرِ الحياة.

نوع الباء ودلالتُها:

كمالُ الخَلْق دليلُ تمامِ القُدرة

الباء في قول الله تعالى: ﴿أَفَعَيِينَا بِٱلۡخَلۡقِ ٱلۡأَوَّلِۚ﴾ حرفُ جرٍّ يفيد السببيَّة، والمعنى: (أحصَل لنا - على ما لنا من العظمة - الإعياءُ والعَجْزُ؛ بسبب الخلق في شيء من إيجاده وإعدامه؟)[1]، ويمكن أن تكون الباء بمعنى (عن)، والتقدير: (أعجزنا عن الخلق الأوَّل حتى نعجزَ عن الخلق الثاني؟)[2].

دلالةُ التَّعبير بالخَلقِ مُعَرَّفًا:

الإبداعُ الأوَّل دليلُ الإحياءِ ثانيًا

آثر البيانُ الكريمُ التَّعبيرَ عن الإيجاد الأوَّل بالخَلقِ، في قول الله تعالى: ﴿أَفَعَيِينَا بِٱلۡخَلۡقِ ٱلۡأَوَّلِۚ﴾؛ ليَلفِتَ الأنظارَ إلى ما فيه من إبداعٍ وإعجاز ودلائلَ على قدرة الله عليه، وعدمِ عجزه عنه، على الرَّغم من كونه إيجادًا من عدم، وإنشاءً من غير أصل ولا احتذاء، وهذا فيه برهانٌ على قدرة الله على البعث الذي هو أيسرُ منه وأسهل؛ لأنَّه إعادةٌ، والإعادةُ أسهلُ من الإنشاءِ بداهةً، وجيء به معرَّفًا ليشمل خلقَ السماوات والأرض وخلقَ الإنسان وسائر المخلوقات.

دلالةُ وصفِ الخَلقِ بالأوَّل:

خلقُ السماواتِ والأرضِ وما بينهما أكبرُ من بعثِ الناس وإعادتِهم

وُصِفَ الخَلقُ بالأوَّلِ في قول الله تعالى: ﴿أَفَعَيِينَا بِٱلۡخَلۡقِ ٱلۡأَوَّلِۚ﴾؛ لتمييزه عن البعث، ولتقوية ما فيه من دلائلَ وبراهينَ على قدرة الله على البعث وتأكيده، الذي يُعَدُّ أيسرَ من خلق السماوات والأرض وما بينهما بصفة عامَّة، وأسهلَ من إيجاد الإنسان من عدم وإنشائه من غير أصلٍ أو احتذاء بصفة خاصَّة، والمعنى: (هل عَيينا بخلق

(1) البقاعي، نظم الدرر: 18/ 418.
(2) أبو حيان، البحر المحيط: 9/ 533.

السماوات والأرض وما بينهما حين ابتدأه اختراعًا من العدم، وخلق الإنسان وسائرِ الحيوان مجدَّدًا، ثمَّ في كلِّ أوانٍ من الأطوار المشاهَدة على هذه التدريجات المعتادة بعد أن خلق أصلَه على ذلك الوجه ممّا ليس له أصل في الحياة، وفي إعدامه بعد خلقه جملةً كهذه الأمم المذكورة، أو تدريجًا كغيرهم، حتّى يظنّوا؛ بسبب العجز بالخلق الأوَّل - الذي هو أصعب في مجاري العادات من الإعادة - أن نعجز عن الإعادة ثانيًا؟)[1].

نوعُ ﴿بَلْ﴾ ودلالتُها:

﴿بَلْ﴾ في قول الله تعالى: ﴿بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾؛ للإضراب الإبطاليِّ عن المستفهَم عنه، أي: (بل ما عيينا بالخلق الأوَّل)، فهُم يعلمون ذلك، ويعلمون أنَّ الخلق الأوَّلَ للأشياء أعظمُ من إعادة خلق الأموات، ولكن تمكَّن منهم اللَّبسُ الشديد، فأغْشى إدراكَهم عن دلائلِ الإمكان، فأحالوه، فالإضراب على أصله من الإبطال[2].

تَمكُّن اللَّبسِ الشديد من الكافرين أغشى إدراكَهم، وأعمى أبصارَهم

دلالة مجيءِ المُسنَدِ إليه ضميرًا مُقَدَّمًا:

جاء التَّعبير عن الكفّار في قول الله تعالى: ﴿بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ بالضَّمير ﴿هُمْ﴾؛ جَريًا على الأصل في التعبير به عن الاسم الذي سبق ذكرُه؛ لما يفيده من تعيين المتحدَّث عنه تعيينًا يَحول دون صرف الكلام عنه إلى أحدٍ آخر، والتقدير: (بل الذين كفروا في لَبسٍ من خلقٍ جديدٍ)، وجوَّز التعبيرَ بالضميرِ أنَّ المشركين قد عُرفوا بإنكار البعث، فأصبحوا المقصودين عند الإطلاق، مع ما يستحقُّه المقامُ من التحقير والذَّمِّ وعدم استحقاق المُتَحدَّث عنه لأيِّ نوع من أنواع الذكر، وجيء بالضمير المسندِ إليه مُقدَّمًا على الخبر؛

الضمير معرفةٌ ظاهرةٌ لمن عُلِم منه الفعلُ المخصوص

(1) البقاعي، نظم الدرر: 18/ 418.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 298.

لتقوية تلَبُّسِ المشركين - لا غيرِهم - بالخلط والشكِّ والحَيرة من أن يكون هناك خلقٌ جديدٌ مُستأنَفٌ لهم بعد موتِهم[1].

بلاغة الجملةِ الاسميَّة:

الالتباسُ كنايةٌ عن الضَّلال المبين

جاء قول الله تعالى: ﴿هُمْ فِي لَبْسٍ﴾ جملةً اسميَّةً؛ للدلالة على ثبات الحكم لهم، وأنَّه متمكِّن من نفوسهم، لا يفارقهم البتَّة إلّا أن يُحدِثوا إيمانًا بالله وبالبعث بعد الموت، ففيه إيماءٌ إلى خطورةِ حالهم التي قد تنتهي بهم إلى النّار، فإنَّ من التَبسَ عليه الأمرُ، واختلط، فلم يُميِّز بين الحقِّ والباطل، كان في ضَحْضاح العذابِ، وفي قَعرِ الجهالة، فالجملة الاسميَّةُ كنايةٌ عن الضلال الشديد، والكفر الأكيد، الذي لا مُنقِذَ منه إلّا الإيمان والإقبال على الله تعالى.

بلاغةُ استعمالِ حرفِ الظَّرفيَّة:

جاء في قول الله تعالى: ﴿بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ استعمالُ حرفِ الظرفيَّة ﴿فِي﴾؛ ليشير إلى انغماسِ المشركين في هذا اللَّبس وإحاطتِه بهم إحاطةَ الظَّرفِ بالمظروف[2]، فهُم غارقون فيه، وحالُ الغارقِ المكنة في الموت.

بلاغة استعارةِ ﴿فِي لَبْسٍ﴾:

اللبسُ متمكِّنٌ من نفوسِ الكُفّار، ولا يفارقُهم البتَّة

في قول الله تعالى: ﴿بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ﴾ استعارةٌ مكنيَّة، شُبِّه فيها اللَّبسُ الذي هو الخَلطُ والشَّكُّ بالبئر العميق التي ألقَى الكفارُ فيها بأنفسهم، فأحاطت بهم كما يحيطُ الظَّرفُ بما فيه، وصاروا لا يستطيعون الخروجَ منها، ثمَّ حُذِف المُشَبَّهُ به، ورُمِز إليه بشيء من لوازمه، وهو الظرفيَّة، على سبيل الاستعارة المكنيَّة، التي تُبرِزُ تمكُّنَ الشَّكِّ والخلطِ من الكافرين، بحيث لا يُمكِنُهم تصديقُ أمرِ البعث على الرَّغم من وضوحِ دلائلِ قدرة الله تعالى عليه، وكونِه أسهلَ من الخلق الأوَّل.

(1) طنطاوي، التفسير الوسيط: 13/ 339.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 298.

نكتةُ تنكيرِ ﴿لَبْسٍ﴾:

نُكِّر لفظ اللَّبس في قول الله تعالى: ﴿هُمْ فِي لَبْسٍ﴾ إمّا للنوعيَّة[1]، أو لتفخيم اللَّبس وتهويله، فكأنَّه خلطٌ لا يُقادَر قدره، ولا تحيط العبارة بكنهه، والمعنى: (خلط شديد، وشبهة موجِبة للتكلُّم بكلام مختلط لا يعقل له معنى، بل السكوت عنه أجمل)[2].

نوعُ ﴿مِّنْ﴾ ودلالتُها:

﴿مِّنْ﴾ في قول الله تعالى: ﴿بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ حرفُ جرٍّ يُفيد الابتداءَ، والمعنى: (لبسٌ انجرَّ إليهم عن أمر الخلق الجديد).

بلاغة التَّعبير بقوله: ﴿خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾:

البعثُ خلقٌ جديدٌ؛ لأنَّه يكونُ على وجهٍ يجهل النّاسُ تفاصيلَه

جاء في قول الله تعالى: ﴿بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ التعبيرُ عن البعث والإحياء بالخَلْق الجَديد؛ للإيماء إلى أنَّه إعادةٌ بعد عدم الأجزاء، لا جمعٌ لمتفرِّقها، وتنكيرُ الخلق وتابعِه للنوعيَّة، أي: (ما هو إلّا خلقٌ من جملة ما يقع من خلق الله الأشياءَ)[3].

ويمكن أن يكون التنكير والوصف بالجديد؛ تنبيهًا على مكان شبهتهم واستبعادهم الخلقَ العاديَّ، وأنَّه خلق عظيم، يجب أن يُهتَمَّ بشأنه، فله نبأ أيُّ نبأ، والتعظيم ليس راجعًا إلى الخلق من حيث هو هو، حتى يُقال: إنَّه أهونُ من الخلق الأوَّل، بل إلى ما يتعلَّق بشأن المكلَّف، وما يُلاقيه بعده، وقيل: نُكِّر؛ لأنَّه لاستبعاده عندهم كان أمرًا عظيمًا، ويجوز أن يكون التنكيرُ للإبهام؛ إشارةً إلى أنَّه خلقٌ على وجهٍ، لا يعرفُه الناسُ[4].

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 298.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 18/ 419.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 298.
(4) الآلوسي، روح المعاني: 13/ 328.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السابع والخمسون،
سورة الحُجُرَات من الآية 15 إلى سورة الطُّور الآية 24
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السابع والخمسون، سورة الحُجُرَات من الآية 15 إلى سورة الطُّور الآية 24
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 57 ، 802 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-650-27-0
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 57 : المجلد السابع والخمسون، سورة الحُجُرَات من الآية 15 إلى سورة الطُّور الآية 24.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-650-27-0
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-4331956 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"